بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾

(الأنفال ٦٠)

الباب الثانى

إعـــداد القــوى وربــاط الخيــل

فى صدر الإسلام

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

الرسول القائد العظيم القدوة

معارك سيدنا محمد ﷺ الخالدة

عن مجلة Army Quarterly عدد يوليو ١٩٧٢

« ذاع صيت العرب فى آفاق العالم منذ عهد محمد ﷺ بعلمهم وسلاحهم ، ومن ثم فإن دراسة معاركهم أشد ضرورة من دراسة تاريخ أى شعب آخر ازدهر بعد انهيار الإمبراطورية الرومانية » .

محمد ﷺ الإنسان الملهم

« فى أقل من ٥٠ عامًا ما بين (٦٣٠ م ، ٦٨٠ م) أسس العرب أهل الصحراء وأوائل المسلمين امبراطورية عظمى تمتد من أسوار الصين حتى أبواب فرنسا . ولقد قام أولئك الجنود البواسل بروح الفداء والحماس فى صدورهم والرمال والدماء على سيوفهم باكتساح دول المشرق والمغرب المتحضرة أمامهم ، هى دول أغنى منهم إلا أنها فى أغلب الأوقات مفككة وكاد هؤلاء العرب أن يقضوا على دول أوروبا جميعا لولا أنهم توقفوا بعد معركة Poitiers (بواتييه) فى جنوب فرنسا .

ولقد كان الإنسان الذي ألهمهم هذه القوة السياسية والعسكرية ، الإنسان الذى كان عليه أن يبث الشجاعة التى لا مثيل لها فى أتباعه ومن خلفوهم ، الإنسان الذى وحّد بين جنوده بالروح القتالية والولاء التام بطريقة مذهلة . . . كان إنسانا أميا لم يحمل سلاحا حتى بلغ من العمر ٥٣ عاما هو النبى محمد ﷺ » .

وهكذا كان محمدًا القائد القدوة والمعلم والـرسول الذى استطاع أن يجمع بين شخصية الداعى لنور الإيمان والقائد القوى الأمين الذى يقود الجنود إلى ميدان القتال .

٢٧ غزوة فى خلال عشر سنوات

٤٠ مجموعة سرية لم يشترك فيها الرسول القائد ﷺ

وقد خاض محمد الرسول ﷺ القائد فى حياته العسكرية أربع معارك ضارية ، وتعرض للحصار عدة مرات وواجه العدو فى بعض الاشتباكات البسيطة الأخرى ، أما المعارك الأربع الرئيسية فهى :

(بدر **وأحد ومؤته وحنين**)

ولنا نحن رجال الحرب والسلام فى هذا الرسول القائد القدوة الحسنة ، فقد كانت الطريقة التى اتبعها فى قيادته هي مخاطبة القلب والعقل الإنسانى بأسلوب الإقناع عن محبة وثقة وولاء واخلاص ، فقد تحلى بصفات القائد الكفء القدير القوى الأمين مع عظمة الروح وذكاء القلب ورجحان العقل ودقة الملاحظة مع قوة الذاكرة ، وقال الشاعر عنه فى أشعاره :

كم من غزاة للرسول كـريمـة فيها رضـى للحـق أو إعـلاء

الخيل تأبى غير أحمـد حاميا وبهـا إذا ذكر اسـمه خيلاء

ساقى الجريح ومُطعم الأسرى ومن أمنت سنابك خيله الأشلاء

وكان ﷺ دائمًا فى المقدمة مشاركًا فى القتال دائم المشورة مع أتباعه مع السماحة عندما يلزم الأمر ويتبع مبادئ القتال أو مبادئ الحرب من دراسة للعدو وإعداد القوى إلى الحشد الفكرى والروحى إلى الاقتصاد فى القوى والمفاجأة ، كما أظهر فى ممارسته فنون القتال فى المعارك مهارة تكتيكية فائقة تجلّت فى حسن استخدامه لعناصر الاستطلاع والمخابرات والمبادأة وحسن اختيار الأرض التى سيحارب عليها معركته ، وفى الاستفادة من ظروف الجو والبيئة المحيطة به ، وكذلك فى الإنصات إلى شورى أصحابه فيما ينفع وترك مالا ينفع .

ولقد حدثت انتكاسات فى أحد ومؤته على سبيل المثال إلا إنه ﷺ قد أعاد أن يحول الكارثة بأسرع مايمكن إلى انتصار ساحق كدأب القائد الناجح .

مضافا إلى هذا كله أنه أخلص إخلاصًا تامًا لعقيدته وبث الإيمان فى قلوب جنوده حتى أنه فى احلك اللحظات كانت الهزيمة تنقلب إلى نصر مؤكد ، وكان جنوده يموتون طواعية للفوز بجنة الخُلد للمقاتلين فى سبيل الله ؛ ولقد أيدّ الله سبحانه وتعالى رسوله القائد وثبّت أقدامه ونصره على أعدائه بالملائكة المنزلة ، والخوارق لم تكن وحدها أداة النصر والعامل الذى غلب به القائد الرسول ﷺ ولكنها كانت تأكيدًا للنبى القائد بأن الله دائما معه ، لايتخلى عنه حتى يشحذ همته ويثير عزيمته وينبهه بكل ما فيه من حواس لليقظة إلى إعداد المحاربين .

وحقيقة أن النصر من عند الله ما فى ذلك شك ، ولكن الله سبحانه وتعالى لايهب نصره إلا لمن نفذ ما أمر الله به من إعداد للقوى ورباط الخيل ، وكل متطلبات القتال .

obeikandl.com

الفصل الثانى

إعداد القوى الإسلامية

إعداد الجيوش للقتال :

أوجب الإسلام الإعداد للحرب على أرفع مستوى مع رباط الخيل وحسن توزيع الوحدات للدفاع عن الحدود والمواقع والهيئات الحيوية والحاكمة ، ولقد اتخذ الرسول القائد ﷺ من المدينة المنورة معسكرا له بعد الهجرة ، وأقام بها قاعدة عسكرية ايمانية قوية لنشر الإسلام فى الجزيرة العربية وخارجها بطريقة يظهر بها حسن توزيع اتباعه القلائل بأنه قوى الشوكه مرهوب الجانب ليفكر أعداؤه فى مهادنته ، فتتحق له أهدافه من أقرب الطرق وأسلمها ويتحقق لدينه الجديد السيادة دون أن تراق فى سبيله الدماء . . أما خليفته أبو بكر فقد كان بارعا فى فن تحريك القوات وحسن تعبئتها واستخدامها ، وكذلك الفاروق عمر الذى يعتبر من أبطال الفن الاستراتيجى ، ويشهد بذلك أنه أمر بتأسيس «البصرة والكوفه» فى مواقع مهمة ، تتحكم فى طرق المواصلات المؤدية إلى الجزيرة العربية من بلاد الفرس وغيرها وأقام فى هاتين المدينتين وغيرهما من الأمصار الإسلامية قوات مرابطة ترد العدوان عند وقوعه وكانت هذه القوات تنتقل بأوامره بين مختلف الأقاليم وهو موجود فى المدينة (مثل قوات الانتشار السريع فى عصرنا هذا) .

وكان يكلف قواده أن يصفوا له أرض العدو وصفا يجعله كأنه يعاينها ويراها . . وأن يذكروا له عدد أعدائهم والقائد الذى يتولى قيادتهم (معرفة العدو وعدد قواته وأسماء قادته) وقد وضع عمر بذلك المثل لمن جاء بعده فراعوا فى تأسيس مدنهم موقعها الاستراتيجى بحيث تكون محصنة بمواقع مثل الأنهار وغيرها ، وتتحكم فى طرق اقتراب العدو ويكون من السهل إمدادها بالطعام والسلاح وغير ذلك . . أى لها طرق اقتراب سهلة ومستورة . . كما راعوا فى تحريك جيوشهم حاجة الميادين المختلفة ، مع التناسب فى الأعداد حسب خطورة المهمة المكلفة بها . .

ولقد عرف المسلمون الحذر والحيطة عند تحركهم ، وقال المؤرخون « كان خالد لايسير إلا على تعبئة » كناية عن الحذر والحيطة والاستعداد الدائم لمواجهة الأعداء .

إعداد القادة :

كان يتم اختيار القادة من أفضل العسكريين ثقافة وإيمانا وتدريبا وأكثرهم علمًا وأوسعهم أفقا ليضمن النصر على العدو . ففى غزوة خيبر لما ابطأ الفتح ، طلب الرسول ﷺ علي بن أبى طالب وسلمه الراية ليكون أمير الجيش بعده ففتح الله عليهم بسبب شجاعته وحسن قيادته للجيش ودرايته الحربية .

الإعداد الروحى للقتال :

كان الرسول ﷺ يختار صفوة من الخطباء والوعاظ المؤثرين ليذكرّوا الجنود بفضل الجهاد فى سبيل الله ، وما أعده الله للمجاهدين من كريم الأجر وعظيم الجزاء ، وبفضل الاستشهاد ومنزلة الشهداء فى الجنة بأسلوب مشوق ومؤثر وجذاب .

الإعداد الإدارى :

كان يتم تخزين الأقوات اللازمة للجيش وعناصره ، وتوضع فى أماكن بعيدة عن العدو قبل المعركة بفتره كنوع من الإعداد الإدارى للقتال .

رباط الخيل :

كان المسلمون يهتمون بتحصين الحدود والثغور ووضع الرجال الشجعان ذوى الدين المتين والثقافة الحربية الممتازة لحراستها فإنها ذات خطر على أمن الدولة ، والمرابطون فيها لهم إجر عظيم كما قال ﷺ

« رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها »

وكان ولى الأمر دائم الاتصال بهؤلاء ليتعرَّف منهم على أخبار العدو لقربهم منه . وكان بعض أولى الأمر يقول لحاجبه **« لاتحجب عنى رسول الثغر وإن كنت نائما فأيقظنى »** .

وكان من المبادئ التى وصفها عمر بن الخطاب لجنده ألا يقيموا داخل المدن التى

فتحوها وأن يظلوا فى ضـواحيها خشية أن يظلموا أهلها إذا اختلطوا بـهم ، ولتظل طباعهم العربية نقية سليمة من الشوائب . ولما اتـسعت الفتوح أعدَّت مدن لإقامتهم وروعى فيها أن تكون مراكز حربية فى مـواقع استراتيجية على الحدود بينه وبين البـلاد المفتوحة لرد العدوان وسميت بالثغُور . . مثـل البصرة والكوفة وعلى سواحل مصر والشـام ، ثم تطورت الثغور وشحنت بالجنود وتولى أمرها اكفأ القادة . وكان يقيم فيها الجنود وعائلاتهم ، وترسل منها الدوريات للـحصول على المعلـومات عن الاعداء ، ولتدريب الجنـود على القتال العـملى فى الأراضى المختلفة لتزداد خبرتهم الحربية .

إعداد وسائل الدفاع :

أول من استخدم الخنادق والحصون من العرب هو الرسول ﷺ فى غزوة الأحزاب ، ولما اتـسعت الـفتوحات وكـثرت الجيـوش الموجهـة شرقا وغـربا ، كان لابد مـن العنـاية بالتحصينات لمنع المفاجأة ، فحصنوا المدن التى أقيمت فى مراكز استراتيجية مهمة . .

وفى الجانب الآخر أعـد القادة المسلمون العـدة لاجتياز خنادق الأعداء وفتـحت أمامهم سبل الحيل فـــــى التغـلب عليها وعرفوا طرق عـبورها ، كما استخدم المسـلمون الحسك الشائـك (وهو نبات ذو شوك ينـمو فى بلاد العرب) فـى حروبهم وفى تحصـين الخنادق والحصون ، ويقال إن العرب أجادوا ذلك النوع من وسائل الدفاع وصار الحسك عندهم أداة تستخدم فى عرقلة تقدم قوات العدو على الطرق المحتملة لتقدمه .

معرفة العدو :

جرت العادة قبـل خوض المعارك أن يهيئ القائـد الأذهان إليها ولكنه يكـتم عن جنوده سرها كما يحاول معرفة الكثير من أسرار عـدوه ومدى استعداده وقدرته لتكون المفاجأة كاملة وقاطعـة . وقد أمر الرسول الـقائد ﷺ زيدًا بـن ثابت أن يتعـلم لغة اليـهود وكتابـتهم فتعلمها ؛ إذ أن معرفة لغة العدو تخدم صاحبها فى الحرب أجل الخدمات ، وكان عمرو بن العاص فى حروبـه مع الروم يحتفظ بطائفـة من رجال المخابرات يتكلمون الـرومية ، فكان يرسلهم إلـى الروم متنكرين فيقـيمون بينهم ويعـودون إليه بأخبارهم واشترط فـيهم الأمانة وحفظ السر .

أدب الحرب :

وكان المسلمون وهم فى مكة مكفوفين عن دفع الظلم بالقتال ، وكان هذا الكف لحكمة قدرها الله سبحانه وتعالى وهى تطويع نفوس المؤمنين من العرب للصبر امتثالا للأمر وخضوعا للقيادة وانتظارًا للإذن ، وقد كانوا فى الجاهلية شديدي الحماس يستجيبون لأول دعوة ولا يصبرون على الضيم .. فبناء الأمة الإسلامية التى تنهض بالدور العظيم الذى نيطت به هذه الأمة يقتضى ضبط هذه الصفات النفسية وتطويعها لقيادة تقدّر وتدبّر وتطوّع فى كل الأمور حتى ولو كانت هذه الطاعة على حساب الأعصاب التى تعودت الاندفاع والحماسة عند أول داع ، ومن ثم استطاع رجال من أمثال عمر بن الخطاب فى حميته ، وحمزة بن عبد المطلب فى فتوته ، وأمثالهما من أشداء المؤمنين الأوائل أن يصبروا على الضيم الذى يصيب الفئة المسلمة وأن يربطوا على أعصابهم فى انتظار أمر الرسول القائد ﷺ وهو يقول لهم :

« كفوا أيديكم واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » ..

ومن ثم وقع التوازن بين الإندفاع والتروى والحماسة والتدبرّ والحمية والطاعة فى هذه النفوس التى كانت تُعَد لأمر عظيم .. وهذه هى مهمة القيادة الراشدة للبشرية ، وإقرارًا لمنهج الله فى الأرض فى صورته المثالية الواقعية .

الفصل الثالث

إعداد القوى اليهودية

قامت الدولة الإسلامية فى أول عهدها فى المدينة المنورة فى القرن السابع الميلادى ، ثم اتسع نطاقها لتشمل كل أرجاء الجزيرة العربية قبيل وفاة الرسول محمد ﷺ ، وكان اليهود هم أول من اصطدم بالدعوة الإسلامية فى يثرب (المدينة المنورة) نظرًا لمركزهم الممتاز فى يثرب وأنهم يزعمون أنهم شعب الله المختار ، وخوفًا من عزلتهم عن المجتمع ، الذى كانوا يزاولون فيه القيادة الفعلية والتجارة الرابحة والربا الفاحش . وازداد عداء اليهود لهذه الدولة الفتية حينما شهدوا تضاعف عدد المسلمين وانتشار الإسلام فبدأوا فى إعداد القوى لهدم الوحدة الاجتماعية الجديدة فى ثلاثة اتجاهات :

- محاولة إثارة البغضاء بين فريقي المسلمين المهاجرين والأنصار
- إعلانهم تأييد قريش وحرّضوها على غزو المدينة وقتال المسلمين
- تحالف اليهود أيضا مع المنافقين فى المدينة للكيد للجماعة الإسلامية

وانتهت مرحلة الصراع السلبى لتبدأ مرحلة أخرى إيجابية حين حاولوا اغتيال النبى ﷺ مرتين واحاطت العناية الإلهية بالرسول الأمين ، ثم حرّض اليهود المشركين على قتال المسلمين واستنصروا الأحزاب عليهم ، ونقضوا عهودهم للمسلمين .

العقيدة الإسرائيلية :

إن أبرز طابع يطبع العقيدة الإسرائيلية قديما وحديثا هو ذلك الرباط الوثيق بين حرب إسرائيل ورب إسرائيل فالحرب ؛ فى عقيدة بنى إسرائيل عمل مقدس فقائد هذه الحرب فى زعمهم هو رب إسرائيل وجنودها هم جنود هذا الرب ، ويظهر ذلك فى كثير من نصوص التوراة المعروفة .

وقد أعلن حاخام الجيش الإسرائيلى موشيه جورين أن الحروب الثلاث التى جرت بين العرب وإسرائيل فى سنوات ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ هى فى منزلة الحرب المقدسة فأولها حرب لتحرير أرض إسرائيل ، والثانية كانت لضمان استمرار دولة إسرائيل ، أما الثالثة فقد كانت تحقيقا لنبوءات أنبياء إسرائيل . هكذا صرح الحاخام المذكور عن الحروب الثلاث ، لكنه لم يفصح عن رأيه فى حرب (أكتوبر ١٩٧٣) وماذا حققّت لإسرائيل ؟!

الخدمة العسكرية فى إسرائيل :

تعتبر التوراة الخدمة العسكرية فرضًا على كل شاب يهودى بلغ العشرين من عمره حتى الخمسين . ويوجد مع كل وحدة إسرائيلية كاهن يقوى قلب الجندى ويثير فى نفسه الشجاعة حتى لا توسوس له نفسه الهرب أو التراجع . وفى التلمود أكثر من موقع يقول « **التراجع بداية الهزيمة** » .

إعداد القوى بالحصون والأبراج :

لما كان اليهود مكروهين منبوذين وكتب الله عليهم الذلة والمسكنة ، فقد عاشوا فى قرى محصّنة للدفاع عن أنفسهم ، واتخذوا الحصون والمخابئ فى شقوق الجبال والمغارات للحياة فيها ويقول صمويل النبى :

« **ولما رأى رجال إسرائيل أنهم فى ضنك لأن الشعب تعذَّب اختبأ الشعب فى المغارات والأحراش والصخور والأبراج والحفر** » .

وأقام اليهود فى يثرب (المدينة المنورة) الحصون (القصور العالية ذات الأبواب) وكان اليهود يجتمعون فيها وكثيرًا ما حاصرهم الرسول القائد محمد ﷺ فيها كما حاصر قبيلة ثقيف فى حصونهم فى الطائف ، وفتح حصون خيبر السبعة . ولما اتسعت الفتوحات الإسلامية وأسس المسلمون المدن المختلفة متاخمة للأعداء ، عملوا على تحصينها ببناء الأسوار والأبراج كما حصنوها بالخنادق .

وأنشأ اليهود قرى محصّنة احتياطيه للهروب إليها واللجوء فيها فى حالة ما إذا تمكّن العدو من محاصرة المدن الأمامية أو الاستيلاء عليها ، كما أقاموا الأبراج على أسوار المدن وفى المزارع لحراسة المحاصيل وتختلف ارتفاعا وعرضا ، وقد أخذ اليهود فكرتها من برج

بابل الشهير . كما استخدمت الأبراج كوسيلة من وسائل التحصينات والمراقبة واستطلاع طرق تقدم القوافل ، ومراقبة الجيوش المغيرة وتحركاتها.

الجُدر :

استخدم اليهود السد الترابى لمنع الأعداء من التقدم . وجاء ذكرها فى التوراة وليست الجدر هى السدود الترابية فقط ولكن هناك جدرًا معنوية وجدرًا مادية وجدرًا سياسية وجدرًا اقتصادية حتى الحجر يستخدمه اليهود للاختباء حوله ، إلى أن يجئ اليوم الذى يقول فيه الحجر للمسلم « **احذر فإن ورائى يهوديًا** » . والجدر المعنوية منها إشاعة الذعر والخوف كنوع من أنواع الحرب النفسية التى يلجأ إليها اليهود لنشر الذعر بين السكان الآمنين لتخويفهم وإرهابهم .

والجدر المادية كثيرة منها كما سبق القول السواتر الترابية أو الأسوار الصناعية من التين الشوكى ، أو الدروع مثل الدبابات والمصفحات ، أو ستائر الدخان ، أو الإحتماء بصديق قوى وحليف يسانده وهو يعمل خلفه ، أو جدر الظلم . . . إلخ . وكانت جدر الخبث والمكر والنفاق سلاحًا مهمًا لهم فى إعداد القوى بخداع الغافلين من العرب والمسلمين بهدف تحطيم العقيدة وزعزعتها فى نفوسهم .

الطرق وأهميتها فى إعداد القوى :

كانت القوافل الآتية من بلاد العرب يمر بعضها داخل فلسطين متجهة إلى ساحل البحر المتوسط ، وقد اهتم الملك سليمان عليه السلام بإصلاح الطرق التى كانت تسلكها هذه القوافل مقابل ضرائب ورسوم لمرور تلك القوافل . وأهم الطرق هى :

- طريق القوافل بين مصر وفلسطين
- طريق يافا أورشليم (بيت المقدس)
- طريق من اليمن إلى صور وصيدا
- طريق الساحل من غزة إلى صفد ثم إلى دمشق في سوريا
- طريق القدس إلى السامرة . . إلخ .

وبالطبع اهتم الإسرائيليون بإنشاء الطرق وإعدادهـا لربط المدن ببعضها البعض ، وتسهيل وصول الحجاج إلى بيت المقدس مع خدمة النواحى الحربية كما أنها كانت موردا ماليا مهمًا لهم .

تعليق :

هكذا وقـف اليهود من الـدعوة الإسلامية هـذا الموقف الذى يـصفه القرآن الـكريم فى تفصيل دقيق . . وكانت معجزة القرآن الخالدة أن صفتهم التى دمغهم بها هى الصفة الملازمة لهم فى كل أجيالهم من قبل الإسلام إلى يومنا هذا . ومن ثم تبقى كلمات القرآن حية كأنما تواجه موقف الأمـة العربية اليوم وموقف الـيهود منها . . وهذه الكلـمات الخالدة هى **التنبيه الحاضر والتحـذير الدائم** للأمة العربيـة والإسلامية تجاه اعدائها الذين واجـهوا أسلافها بما تواجهه اليوم مـن دس وكيد وحرب متنوعة المظاهر مـتحدة الحقيقة . وعلينا أن نـعتبر بهذا ونتفّهم آيات القـرآن الكريم تفهما صادقا ونعمـل به وليكن هدف العرب جميـعا والمسلمون خاصة هو التجمع والوحدة والترابط ، فبهذا يستحيل على اليهود الانتصار عليهم

﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة الحشر / ١٤]

وقد ظن اليهـود أن هذه الحصون والجدر التى يحتمـون خلفها ستمنع الـله وجنوده من الوصول إليهم أو تهـديدهم . وكما ظنوا فى الماضى ظنوا أيضًا فى الحـاضر فأقاموا حصون خط بارليف علـى طول الضفة الشرقية لقنـاة السويس ، وشادوا السواتر الترابيـة العالية مع جدر الخوف والرعب مع الأبراج الكثيرة الحصينة والطرق والمدقات الجيدة التى تربط الحصون ببعضها البعض وتربط الحصون بالاحتـياطات التى أعدت لها طرق الاقتراب وسواتر إطلاق النيران وغيرهـا ، حتى استخدام النيران فى ميـاه القناة عند هجوم أعدائهـم واعتمادهم أيضًا على كفـاءة قادتهم وحسن اختـيارهم وتدريبهم وقدرة طـائراتهم وقدرة مخابراتـهم ورسائل الحصول على المعلومات ، وكل دعائم القوة ورباط الخيل التى استطاعوا تجهيزها والإعداد لها كل هذا أعطاهم الثقة فى قدرتهم وقوتهم وأن أقوى جيوش الـعالم قدرة لن تستطيع قتالهم ، ولكن الله سبحانه وتعالى أوصانا بمفاجأتهم وإحداث الذعر بينهم ، فبهذا يتحقق نصرنا عليهم . .

﴿ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ صدق الله العظيم [الحشر آية ٢]

وقد تحقـق ذل ذلك نصًا وروحًا فى حرب رمضان (أكتوبر ١٩٧٣) والشكر لله .

الفصل الرابع

فن الحرب فى مدرسة الرسول القائد

ما أعظم الفارق فى أسلوب القتال وأدب الحرب بين أيام العرب فى الجاهلية وبينها فى مدرسة الرسول ﷺ ، الذى أنزل الله سبحانه وتعالى فى شأنها ٩٦ آية فى تنظيم الجهاد وأساليبه وآدابه ضمّنها عشرين سورة كريمة ، أطولهن التوبة التى حوت ٢٨ آية فى الجهاد .

ومما يلفت النظر تطابق عدد جيش الرسول فى غزوة بدر الكبرى على عدد جيش نبى الله جدعون ، الذى بقى معه بعد أن تخلّف عنه من شرب من النهر حتى ارتوى ثم قال له « لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده » ، فقد كان عدد من خاض المعركة فى كلتا الحالتين ٣١٣ فردًا ، وهو نفس العدد المتواتر عن الرسل .

ومنذ فجر الإسلام حتى أعيد تنظيم الجيش على عهد الخليفة الأموى مروان الثانى (٧٤٤ - ٧٥٠ ميلادية) ، ظل الجيش يتكون من خمسة أقسام يقال لها الخميس ، وهى القلب والميمنة والميسرة والمقدمة والساقة .

وقد أبقى الرسول القائد على الوحدة القبلية فى جيش صدر الإسلام ، فكانت كل قبيلة تقاتل فى قسم من الجيش ليستنهض نخوتها فتصون رايتها . . . وكان للفرسان شأن عظيم فى المعارك نظرًا لخفّة حركتهم ومضاء رماحهم ، بينما ظل سلاح المترجلين القوس والنشاب ، أو الدرع والسيف الذى كانت له عدّة طرز .

وتجاوز عدد الجيش فى آخر غزوات الرسول القائد الإثنى عشر ألف صحابى فى معركة تبوك ، وهو نفس العدد الذى بقى مع نبى الله موسى ، بعد أن قال له القاعدون « إذهب أنت وربك فقاتلا » .

وقد رتّب الرسول ﷺ هذا الجيش العرمرم فى أجناد - أى فى كتائب ، ثم أمر الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد أن فتح الله على المسلمين الأمصار ، وانتشرت كلمة

التوحيد فى مشارق الأرض ومغاربها أن تقيم كل كتيبة فى موضعها بثغر من الثغور ، فانتشر المجاهدون من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين بين الفسطاط والإسكندرية فى مصر والجابية وطبرية وحمص فى الشام ، والبصرة والكوفة فى العراق . ولم يكن لهم من عمل فيها غير التدريب على القتال والتمرسّ بفنون الحرب والدفاع عن ثغور الإسلام . (رباط الخيل) .

وراح جيش صدر الإسلام يكتسب تدريجيًا صنعة الحرب ، ليتحول فى نهاية الدولة الأموية من نظام الخميس إلى نظام الكراديس ، عندما اتخذ التجنيد الاجبارى الذى أكسب الجيش الكثير من القدرة والخبرة وقوة الشكمة .

لقد فرض الرسول ﷺ أن يبدأ القتال بأمر يصدر عن قائد الجيش ، يتبعه على الفور التكبير والدعاء الكثير . وكانت العادة أيضًا أن تعزّز المعنويات بتلاوة آيات الذكر الحكيم التى تحض على الجهاد وتبشّر بالجنة . كما كانت تنشد القصائد الحماسية ، وتلقى الخطب لإثارة الحمية والشجاعة والنخوة والاعتماد على نصر الله ، ثم تستمر تلاوة القرآن عندما يحمى الوطيس ويلتحم الجمع وتتطاير الرؤوس والأطراف .

وفى الغزوات الأولى كان المجاهدون يشرعون فى القتال بأن يتقدموا الصفوف نحو العدو ، طالبين النزال والتحدى بالمبارزة التى قد تستغرق بضع ساعات من وجه النهار . وبعد أن تثور الهمم تلتحم الجيوش ويبدأ الكر والفر - أى الهجوم المباغت - بكامل الجيش على العدو ثم التراجع بسرعة .

وكانت تلك المناورة التى تعتمد على خفة الحركة وقوة الصدمة تتكرر طوال المعركة حتى تقع فى العدو الخسائر التى تشيع الاضطراب فى صفوفه ، فيبدأ دور الفرسان فى حسم المعركة بمناورات التطويق التى تهدف إلى الالتفاف على أجناب العدو وتهديد مؤخرته التى تشكّل مقتله .

ولم يكن التفوق النوعى لجيش صدر الإسلام يعود إلى السلاح الأفضل أو اللياقة البدنية الأقوى ، وإنما إلى المعنويات العالية التى أسهم الدين فى رفعها ، إلى جانب قدرة العرب العالية على الاحتمال ، ومواصلة السير لمسافات شاسعة بأقل الزاد والماء .

كما لم يكن هدف سرايا الرسول وغزواته مجرد إحراز النصر أو الاستيلاء على الأرض أو الغنائم بل تأدية فريضة الجهاد بنشر كلمة التوحيد . ولذلك كان يوصى المجاهدين بألاّ

يهرقوا دمً من لم يرفع عليهم السيف ، وأن يتركوا الطفل والشيخ والمرأة ، وأن يتجنّبوا تدمير الممتلكات أو الزروع أو البيوت أو المواشى والغنم .

ونهى الرسول ﷺ أن تحمل رؤوس قتلى الأعداء على أسنة الرماح ، كما كانت عادة العرب قبل الإسلام ، أو أن تستخدم السهام المسمومة .

وعندما يتحقق النصر كان الأعداء يخيّرون بين الإسلام أو تأدية الجزية وبهذا وحّد الرسول القائد الأمة الإسلامية تحت راية « لا إله إلا الله محمد رسول الله » التى حررّت فيما لايتجاوز ٢٣ سنة - هى مدة البعثة - كل الجزيرة العربية ونشرت العدالة الاجتماعية بأنّ « لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى » ، فأعادت للإنسان قيمته وكرامته - ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ - صدق الله العظيم { الاسراء / ٧٠ } .

وكانت كل غزوات الرسول ﷺ وسراياه من نوع الحروب العادلة ، التى تهدف إلى إزالة الظلم والاستبداد ، والقضاء على البنيان الاجتماعى المتخلف ، و مناجزة الكفر والإلحاد .

ولم يشن الرسول القائد حربًا عدوانيا قط ، بل قاتل دهاقنة مشركى قريش لأنهم كانوا يمثلون الطبقة المستغلّة فى المجتمع ، ولأنهم سعوا إلى القضاء على الدعوة ، وقتل الرسول ، ونشر الشرك والفساد فى الأرض .

كما قاتل اليهود لنقضهم العهود ، ولأنهم كانوا يمثلون الوجه المستغل فى المجتمع العربى . وقاتل الروم لإجلائهم عن أطراف الجزيرة العربية ، ولأنهم ليسوا أصحاب البلاد بل جاءوها غزاة مستعمرين .

ولأن الصحابة كانوا يوقنون بعدالة الحرب ، فقد اجترحوا المعجزات بفضل قوة الإيمان الذى غرسه نبيّهم فى نفوسهم ، واقتناعهم بأنهم يقاتلون فى سبيل مثل عليا ، وأنهم منتصرون لامحالة لأن الله معهم ، والملائكة تقاتل من حولهم .

واهتمت مدرسة الرسول ﷺ بالتحريض على القتال لرفع المعنويات ، وإذكاء شعلة الحماس فى النفوس ، والرغبة العارمة فى لقاء العدو وقهره مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ﴾ { الانفال / ٦٥ } .

ولقد قال الرسول يوم بدر « والذى نفسى بيده لايقاتلهم اليوم رجل صابرًا محتسبًا مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة » . صدق رسول الله ﷺ وقد اهتم الرسول القائد بالتدريب والجاهزية للقتال ، وأولاهما عناية خاصة . وكان القوس هو السلاح الرئيسى فى صدر الإسلام ، ولهذا كثرت أحاديث الرسول عن الرماية والرمي ، ونبالة العدو .

فمما يروى عنه أنه مر بموضع به بعض صحابته يتمرنون على الرمى ، فنزع نعليه ومشى إليهم حافيًا وهو يقول : « هذه روضة من رياض الجنة » ، ولم يقتصر تدريب الرسول لجيشه على فصل من فصول السنة ، بل أعده للقتال تحت أسوأ الظروف ، ولقد نعى الله الذين قعدوا معتذرين بالحر فقال لهم سبحانه وتعالى ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ صدق الله العظيم . [سورة التوبة ٨١]

وقال رسول الله « إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة ، صانعه يحتسب فى صنعته الخير ، والرامى به ، ومنبلّه » .

وكان بعض صحابته ﷺ يتدرّبون على الرمى فقيل لهم قد حضرت الصلاة فقال الرسول « هم فى صلاة » .

ودعا الرسول القائد إلى وحدة الصف فى المعركة لكونها السبيل إلى النصر مستشهدًا بقوله سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ صدق الله العظيم . [سورة الصف ٤]

وفيما يتعلّق بالثبات فى وجه الأعداء غرس الرسول فى وجدان صحابته الاستهانة بالموت ، فلم يسبق لقائد قبله أو بعده أن دفع جنوده إلى الموت وهم مستبشرون بوعده سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

[سورة التوبه ١١١]

وكانت توجيهات القتال تخرج فى وضوح تام من الرسول القائد إلى جنوده ، ففى غزوة أحد أصدر تعليماته المشدّده للرماة « ألاّ تبرحوا مكانكم ، وإن رأيتمونا نقتل فلا تعينونا ولاتدافعوا عنّا ، وإنما عليكم أن ترشقوا خيلهم بالنبال ، فإن الخيل لا تقدم على النبل » .

وما أمَّر الرسول القائد أميرًا على جيش أو سـرّية إلاّ وأوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين ثم قال لهم جميعًا :

« أغزوا باسم الله وفى سبيل الله . قاتلـوا من كفر بالله . أغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثّلوا ولا تـقتلوا وليـدا . وإذا لقيتم الـعدو من المشركـين فأدعوهم إلى ثـلاث خصال فأيتهن أجابوك فأقبل منهم وكف عنـهم . . . أدعهم إلى الإسلام فإن أبوا فسلهم الجزية ، فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم » .

وكان الرسول الـقائد يترك المبادأة بيـد قادة جيوشه وسراياه يتـصرفون حسبما يقـتضيه الموقف . وقـد استـخدم الـرسول الحـرب النفسية فى أغلب غزواته وسراياه حتى أنه قال « نصرت بالـرعب » وقد تجلى ذلك عـلـى أوضح صـورة فى فتح مكّة دون أن يسـتخدم سلاحا ، أو يراق كثير من الدماء .

وقد طبّق الرسول القائد شكل الحرب الوقائية فى غزوة تبوك إذ رغم عدم حدوث صدام فعـلى بين جـيشه وجيـش الروم ، فإن زحـفه إلى عـقر دارهم هو الـذى دفع هرقـل إلى الانسحاب إلى حمص ، وذلـك مثل فريد لاستراتيجية الاقتراب غيـر المباشر الذى نادى به فلاسفة الحـرب فى مطلع القـرن العشرين ، وحقـق به مشاهير قـادة الحرب العالمية الـثانية انتصاراتهم التى أذهلت العالمين .

وكان الرسول الـقائد يتولى القيـادة بنفسه فى كل الـغزوات التى خاضها والتـى بلغت سبعًا وعشرين ، وفى غالبية المواقف الحرجة كان يتقدَّم الصفوف بشجاعة تفوق حد الوصف على نحو ما حدث فى غزوة حنين عندما تقهقر الجـيش وثبت الرسول على بغلته الشهباء فى وجه الأعداء وهو يقول « أنـا الرسول لاكذب ، أنا ابن عبد المطلب » وعمـه العباس ممسك بخطام البغلة وهو يصيح « يا أصحاب البيعة هلم » .

ومعيار القيادة عند رسول الله ﷺ شـرطان هما جماع الشروط ، الأول هو الكفاءة ، والثانى هو محبّة الجنود . وفى ذلك قال الرسول القائد « أيما رجل استعمل رجلاً على عشرة أنفس فعلم أن فى العشرة من هو أفضل ممن استعمل فقد غش الله ، وغش رسوله ، وغش جماعة المؤمنين » .

وكانت المدينـة المنوَّرة القاعدة الأمينـة للدعوة ، انطلقت مـنها السرايا والغزوات لـتعلى كلمة التوحيد ، ثم تعود إلى قاعدتها الأمينة مجبورة منصورة .

وبين دهشة وذهول مـــؤرخى سير عظمـاء الـقـادة يخرج لنا والفـريد فريمان مؤلف كتاب « فتوحـات العرب » بقوله « سواء أسميتموه نبيا » أو مصـلحًا أو أى شىء آخر فإن راعى الإبل الذى هاجر من مكّة إلى المدينة لايـصحبه إلاّ رجل واحد ، يفوق أى إنسان آخر عرفه التاريخ . فـليس ثمة رجل يمكن أن نعزو إليه كـل تلك الآثار العظيمة والرفيـعة مثلما ترك محمدًا من آثار ظلت خالدة على مر السنين » .

وكانت لمدرسـة الرسول الغلبة علـى أعظم امبراطوريتـين عرفهما التاريخ عـلى عهده . ويشبّه أحد فـلاسفة الحرب المعاصـرين ذلك بأن تقوم جـيوش دولة صغرى فى عـالم اليوم فتقضى على حلفى الأطلسى ووارسو فيما لايتجاوز الحقبتين من الزمان .

ولسوف يظل صوت سيف الله المسلول ، خالـد بن الوليد ، يجلجل وهو يقول لجيوش الكفرة والمشركين « إنى والله قد أتيتكم بقوم هم أحرص على الموت منكم على الحياة » .

وهكذا كانت جولات الإسلام التى تعهدتهـا مدرسة الرسول القائد ، والتى نشرت نور الإسلام فى الأرض ، وبهذا كانت العزة لجيوش المسلـمين مصداقًا لقوله تعالى ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ صدق الله العظيم . [سورة الانفال ١١٥]

ملحق (أ)

نموذج من إعداد القوى ورباط الخيل فى معركة احد

تنظيم القتال فى الإسلام :

١ - تقوية المعنويات بمحاربة عوامل الضعف ونزعات الخوف ، وغرس الشجاعة والتضحية والاستهانة بزخرف الحياة فى سبيل الحق ونصرته .

٢ - إعداد القوة المادية

القوة تتناول العدد والعُدة والحشد وإعداد آلات الحرب ووسائل القتال ومواد التموين وكل النواحى الإدارية وا لفنية .

أما الرباط فهو تحصين الحدود والثغور والأماكن الضعيفة أمام العدو ، وتهيئة القوة الكامنة فيها لحمايتها .

التطبيق العملى لتنظيم القتال فى الإسلام (معركة احد)

سيطر المسلمون على الطرق التجارية المؤدية إلى الشام وإلى العراق سيطرة تامة ومنعوا قوافل قريش من سلوك هاتين الطريقين ، فلم يبق أمام قريش إلا التجارة مع الحبشة وهى تجارة غير رابحة بالنسبة للتجارة مع الشام وبذلك حلّت بتجارة قريش نكبه قاضية ، كما سيطر المسلمون على المدينة وجعلوا منها قاعدة أمينة لدعوتهم وحركاتهم العسكرية المقبلة .

كما حرصت قريش بعد هزيمتها فى بدر على الأخذ بالثأر وصممت على الاستعداد عسكريا لاستعادة كرامتها وشرفها . .

رغم هزيمة المسلمين فى أحد فلم يستطع المشركون القضاء عليهم سواءً ماديًا أو معنويًا . إن حركة خالد بن الوليد كانت مباغتة للمسلمين ، وقيام المشركين بالهجوم المقابل وإطباقهم على قوات المسلمين من كافة الجوانب وهم متفوقين بالعدد إلى خمسة أمثال المسلمين ، كان يجب أن تكون نتائجه القضاء المبرم على كافة قوات المسلمين ولكن هذا لم يحدث . . فلا تقاس نتيجة المعركة فى الناحية العسكرية بعدد الخسائر فى الأرواح فقط ، بل تقاس أيضًا بالحصول على هدف القتال الحيوى ، وهو القضاء المبرم على العدو ماديًا ومعنويًا .

فهل استطاع المشركون القضاء على المسلمين ماديًا ومعنويًا ؟

أمّا أهم أسباب هزيمة المسلمين فى أحد فهى :

١ - لم يقم المسلمون بالمطارده وتعقب القوات المعادية المنسحبه لإيقاع الخسائر بهم وقلب انسحابهم إلى هزيمة بل انشغلوا بالغنائم .

٢ - مخالفة الرماة وترك مواقعهم والإسراع لجمع الغنائم .

٣ - نجاح خالد بن الوليد فى مباغتة المسلمين بالالتفاف وراءهم فارتبكت صفوفهم وتزعزعت معنوياتهم .

إلاّ أن نجاح المسلمين فى الخروج من تطويق المشركين بخسائر عشرة بالمائة من قواتهم القليلة يعتبر نصرًا لهم كما نجح المسلمون فى معرفة المنافقين بين صفوفهم قبل المعركة وبعدها ، مما أتاح للقائد تطهير الصفوف بعد أحد على هدى وبصيرة .

اليهود في القرآن :

لقد كان اليهود هم أول من اصطدم بالدعوة فى المدينة ، وكان لهذا الاصطدام أسبابه الكثيرة .... كان لليهود فى يثرب مركزًا ممتازًا لكونهم أهل كتاب بين الأميين من العرب - الأوس والخزرج - ومع أن مشركى العرب لم يظهروا ميلاً لاعتناق ديانة أهل الكتاب هؤلاء ، إلا أنهم كانوا يعدونهم أعلم منهم وأحكم بسبب مالديهم من علم فى هذا الكتاب . .

ثم كان هنالك ظرف موات لليهود بما بين الأوس والخزرج من فرقة وخصام - وهى البيئة التى يجد اليهود دائما لهم فيها عملا !! فلما أن جاء الإسلام سلبهم هذه المزايا جميعا .... فلقد جاء بكتاب مصدّق لما بين يديه من الكتاب ومهيمن عليه .... ثم أنه أزال الفرقة التى كانوا ينفذون من خلالها للدس والكيد وكسب المغانم ... ووحد الصف الإسلامى الذى ضم الأوس والخزرج ، وقد أصبحوا منذ اليوم يعرفون بالأنصار ، والمهاجرين ، وألّف منهم جميعا ذلك المجتمع المسلم المتضامن المتراص الذى لم تعهد له البشرية من قبل ولا من بعد نظيرًا على الإطلاق .

ولقد كان اليهود يزعمون أنهم شعب الله المختار ، وأن فيهم الرسالة والكتاب فكانوا يتطلعون أن يكون الرسول الأخير فيهم كما توقعوا دائما ، فلما أن جاء من العرب ظلوا يتوقعون أن يعتبرهم خارج نطاق دعوته وأن بقصر الدعوة على الأميين من العرب ! . فلما

وجدوه يدعوهم - أول من يدعو - إلى كتاب الله - بحكم أنهم أعرف به من الكفّار - وأجدر بالاستجابة له من المشركين أخذتهم العزة بالإثم وعدوا توجيه الدعوة إليهم إهانة واستطالة .

ثم أنهم حسدوا النبى - ﷺ - حسدًا شديدا حسدوه مرتين ، مرة لأن الله اختاره وأنزل عليه الكتاب - وهم لم يكونوا يشكون فى صحته - وحسدوه لما لقيه من نجاح سريع فى محيط المدينة .

على أنه كان هناك سبب آخر لحنقهم ولاتخاذهم موقف العداء من الإسلام والهجوم عليه منذ الأيام الأولى : ذلك هو شعورهم بالخطر من عزلتهم عن المجتمع المدنى الذى كانوا يزاولون فيه القيادة الذهنية والتجارة الرابحة والربا المضعَّف ! هذا أو يستجيبوا للدعوة الجديدة ويذوبوا فى المجتمع الإسلامى وهما أمران - فى تقديرهم - كلاهما مر !

لهذا كله وقف اليهود من الدعوة الإسلامية هذا الموقف الذى يصفه القرآن الكريم فى تفصيل دقيق . .

وكانت معجزة القرآن الخالدة أن وصفهم بالصفة التى لازمتهم فى كل أجيالهم من قبل الإسلام وإلى يومنا هذا . . مما جعل القرآن يخاطبهم - فى عهد النبى ﷺ - كما لو كانوا هم أنفسهم الذين كانوا على عهد موسى - عليه السلام - وعلى عهود خلفائه من أنبيائهم باعتبارهم جبلَّة واحدة سماتهم هى هى ودورهم هو هو وموقفهم من الحق والخلق على مدار الزمن !!

ومن ثم تبقى كلمات القرآن حية كأنما تواجه موقف الأمة المسلمة اليوم وموقف اليهود منها . . وكأن هذه الكلمات الخالدة هى التنبيه الحاضر والتحذير الدائم للأمة العربية تجاه أعدائها الذين واجهوا أسلافها بما يواجهونه اليوم من دس وكيد وحرب متنوعة المظاهر أحادية الهدف !

ومن خلال جولة فى سورة البقرة نرسم صورة واضحة لاستقبال بنى إسرائيل للإسلام ورسوله وكتابه ، لقد كانوا أول كافر به وكانوا يلبسون الحق بالباطل وكانوا يأمرون الناس بالبر - وهو الإيمان - وينسون أنفسهم . . . . .

وكانوا يسمعون من كـلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلـوه ، وكانوا يخادعون الذين آمنوا بإظهار الإيمان وإذ خلا بعضهم إلى بعض حـذر بعضهم بعضًا من إطلاع المسلمين على ما يعلمونه من أمر النبى وصحة رسالته ! وكانوا يريدون أن يردوا المسلمين كفارًا . . وكانوا يدَّعون من أجل هذا أن المهتدين هم اليهـود وحدهم كما كان النصارى يدَّعون هذا أيضًا !! وكانوا يعـلنون عداءهم لجبريـل - عليه السلام - بما أنـه هو الذى حمل الوحى إلـى محمد لأنهم كانوا يكرهون كل خير للمسلمين ويتربصون بهم السوء . . وكانوا ينتهزون كل فرصة للتشكيك[1] فى صحة الأوامر النبوية ومـجيئها مـن عند الله تعالى - كمـا فعلوا عند تحويل القبلة - وكانوا مصدر إيحاء وتوجيه للمنافقين ، كما كانوا مصدر تشجيع للمشركين . .

(١) هنا يتـحدى القرآن الجميع إذ كـان الخطاب إلى الناس جميعا يـهود ونصارى ومنافقين وغيرهـم ، يتحداهم بتجربة واقعية تفصل فى الأمر بلا مماحكة .

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ۖ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ البقرة ٢٣ .

وظل هذا التحدى قائما فى عهد الرسول ﷺ وما بعده ، ومايزال قائما إلى يومنا هذا . . .

أخلاق اليهود فى القرآن الكريم

الذلة والمسكنة :

- ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ [سورة آل عمرا ١١٢]
- ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ﴾ [سورة الأعراف ١٦٧ ، ١٦٨]

الكذب فى أخطر القضايا وأقدسها :

- ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [سورة البقرة ١١١]
- ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة آل عمران ٧٥]
- ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا ﴾ [عمران ١٨١]
- ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [سورة آل عمران ١٨٣]
- ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾ [سورة المائدة ٤١]
- ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ﴾ [سورة المائدة ١٨]
- ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [سورة المائدة ٦٤]

التمرد على الله ورسله :

● ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾ [سورة المائدة ١٣]

● ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ [سورة المائدة ٧٠]

الجدال والتضليل :

● ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة البقرة ٢٤٧]

● ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة ٤٢]

● ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾
[سورة آل عمران ٧٨]

النفاق والانتهازية :

● ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ [سورة النساء ١٤١]

حب الشر للناس :

● ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [سورة آل عمران ١٢٠]

● ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ [سورة النساء ٥٤]

● ﴿ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾
[سورة المائدة ٦٤]

التكالب على المادة ولو من طريق غير شريف :

● ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا * وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾

[سورة النساء ١٦٠ ، ١٦١]

نقضهم العهود :

● ﴿ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة البقرة ١٠٠]

● ﴿ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴾ [سورة الأنفال ١٥٦]

انعدام الضمير والجهر بالمنكرات :

● ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [سورة المائدة ٧٨ ، ٧٩]

● ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

[المائدة / ٦٢]

الجبن حيث لايستطيعون المواجهة :

● ﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ * لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة الحشر ١٣ ، ١٤]

● ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ ﴾ [سورة البقرة ٩٦]

تحريفهم للكتب المقدسة :

● ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [سورة البقرة ٧٩]

أخوة الجهاد

نشـــر اليهود سمومهـــم وتعسفوا ... هل لليهود بمصر مـــــن أنصار

يا معشر الأبطال أين جهـــــادكم ... أين البـــيان وصـــائب الأفكـار

أيهكـــم عبث وليـــس يهمـــكم ... بنـــيان أخـــلاق بغـــير جـدار

عندى على ضميم السـرائر بينكـم ... نبأ يهـــز ضـــمائر الأحـــرار

مما علمـــت وما سمعـــت مسـافرا ... والعلم بعـــض فـــوائد الأســـرار

مـــن كل ذى سبعـــين تلفـــظ ريبه ... والريب من شفتيه عكـــس نـــهارى

تأبى له فى الريب غـــير سـفاهـــة ... قلـــب صغـــير الهـــم والأوطـــار

ما حـــلـــه عطـــف ولا رفـــق ولا ... بـــــر بأهـــل أو هـــوى لديـــار

مهـما غـــدا أو راح فـــى جـولاته ... دفعـــته راجـــفة إلـــى سمـسار

أســفى علـــى تلك المـــهازل كلـــها ... نقلت مـــن الضـــارى إلـــى أبـرار

إن الســلام علـــى يهـــود جنـــة ... وسلام مصـــر وريفها مـــن نـــار

وعلـــى المجالس فـــوق كل خميلة ... بين الجـبال وشاطئ محـــبار

جـــيش العـــروبة ضـــد كل رزيلة ... مشبـــــوبة بسياجهـــا الفجـــار

وأسعد « سادات » العرب كل سعادة ... فمشاعـل الأبطـال ضـــوء نهار

ملحق (جـ)

رجال حول الرسول القائد ﷺ

أسامة بن زيد
الحبُّ بنُ الحبّ

ابوه زيد بن حـارثة خادم رسول الله الذى آثـر الرسول على أبيه وأمـه وأهله ، والذى وقف به النبـى على جموع اصحابه يقـول [أشهدكم ان زيدا هذا ابنى يـرثنى وأرثه] وظل اسمه بين المسلمين زيد بن محمد حتى ابطل القرآن عادة التبنى .

وكان أسامه « مالكا لكل الصفات العظيمة التى تجعله قريبًا من قلب رسول الله وكبيرا فى عينيه » فهو من ابناء الإسلام الحنفاء الذيـن ولدوا فيه وتلقوا رضعاتهم الأولى من فطرته النقية ، دون أن يدركهم من غبار الجاهلية شىء . وهو على حداثة سنه مؤمن صلب ومسلم قوى يحمل كل تبعات إيمانه ودينه فى ولاء مـتين وعزيمة قاهرة . وهو مُفرط فى ذكائه مفرط فى تواضعه ، ليس لتفانيه فى سبيل الله ورسوله حدود .

وفي سن مبـكرة لم تجاوز العشرين أمَّر الـرسول اسامة بن زيد على جـيش بين أفراده وجنوده أبو بكر وعـمر !! وسرت همهمة بين نفر مـن المسلمين تعاظمهم الأمـر واستكثروا على الفتى الشاب إمارة جيش فيه شيوخ الأنصار والمهاجرين وبلغ همسهم رسول الله ﷺ فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« إن بعض الناس يطعنون فى إمارة اسامة بن زيد ولقد طعنوا فى إمارة ابيه من قبل وان كان أبوه لخليقًا للإمارة وإن أسامة لخليق لها وإنه لمن أحبِّ الناس إلىّ بعد ابيه وإنى لأرجو أن يكون من صالحيكم فاستوصوا به خيرا » .

وتوفى رسول الله ﷺ قبـل أن يتحرك الجيش إلى غايته ولكنـه كان قد ترك وصيته الحكيمه لأصحابه

أنفذُوا بَعثَ اسامه

انفذَوا بعث اسامه

وعلى الرغم من الظروف الجديدة الى ترتبـت على وفاة الرسول فإن الصديِّق أصرَّ على إنجاز وصيته وأمره ، فتحرك جيش أسامه إلى غايته . .

وبينما كان هرقل يتلقى خبر وفاة الرسول تلقى فى نفس الوقت خبر الجيش الذى يُغير على تخوم الشام بقيادة أسامه بن زيد فحيرّه أن يكون المسلمون من القوَّة بحيث لا يؤثر موت رسولهم فى خططهم ومقدرتهم .

وهكذا انكمش الروم ولم يعودوا يتخذون من حدود الشام نقط وثوب على مهد الإسلام فى الجزيرة العربية وعاد الجيش بلا ضحايا وقالوا عن جيش أسامة

ما رأينا جيشا أسلم من جيش اسامه

obeikandl.com

عمرو بن العاص

محرر مصرمن الرومان

مصر يوم أهلّت عـليها طلائع الإسلام كانت نـهبا للرومان وكان أهلـها يقاومون دون جدوى ولمآ دوّت فوق مشارف بلادهم صيـحات الكتائب المؤمنه **الله أكبر الـله أكبر** سارعوا جميعا فى زحام مجيد صَوْب الفجر الوافد ، وعـانقوه واجدين فيه خلاصهم من قيصر ومن الرومان فقد فـتح عمرو بن العاص ورجاله مـصر وحرروها وأناروا لها الطريـق إلى كلمات الله ومبادئ الإسلام . .

ولقد كان عمرو بن العاص حريصا على أن يُباعد أهل مصر وأقباطها عن المعركة ليظل القتال محـصورا بينه وبين جنود الـرومان الذين يحتلون البـلاد وينهبون خيراتهـا أهلها وقد تحدث إلى زعماء النصارى يومئذ وكبار أساقفتهم ، فقال :

« إن الله بعث محـمداً بالحق وأمره به وأنه ﷺ قد أدّى رسالته ومضـى بعد أن تركنا على الواضـحة (أى الطريق الواضح المـستقيم) وكان ممـا أمرنا به الإعذار إلى النـاس فنحن ندعوكم إلى الإسلام فمن أجابنا فهو منا له مالنا وعليه ما علينا .. ومن لم يُجبنا إلى الإسلام عرضنا عليه الجزية (الضرائب) وبذلنا له الحماية والمنعة .

ولقد أخبرنا نبينا أن مصر ستفتح علينا وأوصانا بأهلها خيراً فقال عليه الصلاة والسلام

« ستُفتح عليكم بعدى مصر فاستوصُوا بقبطها خيراً فإن لهم ذمةَ ورحما »

فإن أجبتمونا إلى ما ندعوكم إليه كانت لكم ذِمَّة إلى ذمة .

وتحت ثرى مصر التى عرّفها عمرو بن العاص طريق الإسلام ثوى رفاته ولايزال مجلسه حيث كان يُعـلّم ويقضى ويحكم قـائما عَبْر القرون تحت سقف مـسجـده العتـيق - جامع عمرو - أول مسجـد فى مصر ذكر فيه اسم الـله الواحد الأحد ، وأعلنت بـين أرجائه ومن فوق منبره كلمات الله ومبادئ الإسلام ودوت فيه صيحات النشيد الإلهى

- لا إله إلا الله محمدا رسول الله -

حملة الرمح والترس

الفرساه والمشاه العرب

حامل اللواء وثلاثة من
جنود العصر العباسى الثانى

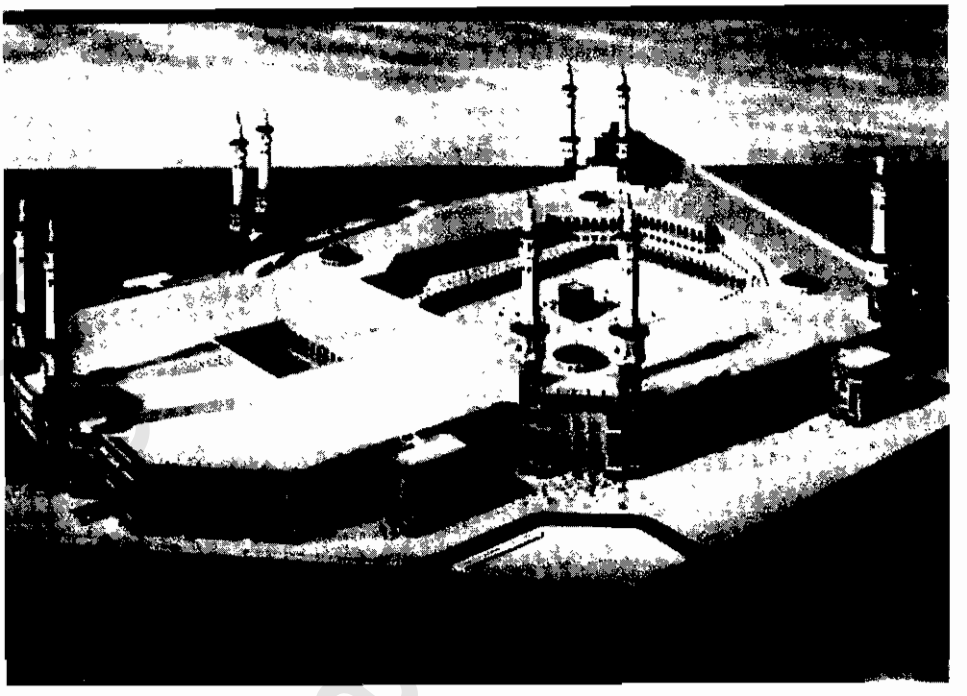

الكعبة المشرفه فى شكلها الراهن

المؤلف وصحبه فوق سطح المسجد النبوى الشريف